# الحصانة الفكرية في جيل الصحابة ﷺ- دراسة تأصيلية عقدية

د. إيمان بنت محمد العسيري*

سلم البحث في ١٤٤٧/١٠/١٧هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٧/١١/١٩هـ

**ملخص البحث:**

يهتم البحث بجانب الحصانة الفكرية الذي تميّز به جيل الصحابة ﷺ، وبالإمعان والنظر لذلك الجيل الرائد بانت طريقتهم التي كانوا عليها، فكانت دراستي هذه التي بيّنت فيها-أولا- مكانة الصحابة ﷺ في الدين؛ لأنها تعطينا الوصف الدقيق لأخلاقهم وأحوالهم ﷺ، وتطلّب الأمر -بطبيعة الحال- النظر في منهج النبي ﷺ مع الصحابة ﷺ في بناء الحصانة الفكرية لهم. ونظرتُ-ثانيًا- للمنهج الذي اعتمده الصحابة ﷺ في تحصيل العلم وبناء الفهم الذي حقق لهم تلك الحصانة العالية. وختمت الدراسة بأبرز النتائج التي خلصت إليها، ومن ذلك بيان أنّ الحصانة الفكرية لا بد فيها من تعلم العلم النافع؛ لأنّ العلم الصحيح يُشكّل القاعدة والجذر الوقائي ضدّ الشبهات والجهالات. وتفشي الجهل وانتشار الشبهات هو نتاج طبيعي متحقّق عندما يخلو الذهن عن العلم الصحيح المستند على أصوله الثابتة. وكذلك فإن بلوغ الحصانة لا يكفيها مجرد تحصيل العلم، إذا لم يشمله الإيمان بقيمة العمل والممارسة؛ كمحصّلة تؤكد سلامة الفكر والاعتقاد وحسن الرأي والنظر.

**كلمات مفتاحية:** منهج، بناء، علم، عمل

**Abstract:**

This study focuses on the aspect of intellectual immunity that distinguished the generation of the Companions (may Allah be pleased with them). Through deep reflection and careful examination of that pioneering generation, their methodological approach became evident. Accordingly, this study first clarifies the status of the Companions in Islam, as it provides an accurate description of their morals and conditions. This naturally required examining the Prophet's methodology with the Companions in building their intellectual immunity. Secondly, the study examines the methodology adopted by the Companions in acquiring knowledge and constructing sound understanding, which enabled them to attain such a high level of intellectual immunity. The study concludes with the most significant findings, including the clarification that intellectual immunity necessarily requires learning beneficial knowledge, as sound knowledge constitutes the foundational and preventive root against doubts and ignorance. The spread of ignorance and the proliferation of doubts are a

* أستاذ مشارك، في تخصص العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

natural and inevitable result when the mind is devoid of authentic knowledge grounded in its established principles. Likewise, attaining intellectual immunity is not achieved merely through acquiring knowledge unless it is accompanied by faith in the value of action and practical application, as a culmination that confirms sound thought, correct belief, and proper judgment and reflection.
**Keywords**: Methodology, Construction, Knowledge, Action.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد، فإنّ الحصانة الفكرية لدى المسلم تنشأ بالسعي الحثيث إلى علم العقيدة والكتاب، والعمل الدؤوب لأجل أن يتخلّل القلب ويخالط اللُبّ؛ حتى يتمكّن منه ويحوز قوة في العلم ورسوخا في الفهم، ويُصبح ما تعلّمه أمرًا بديهيًا جليًا يتعبّدُ الله تعالى به، ويُقيمُ دينَه ودنياه على بصيرةٍ من أمره.

ولقد أدرك الصحابةُ الكرامُ ﷺ ومنذ وقتٍ مبكّر أهميةَ البناء العلميّ والتحصيلِ العقديّ، إذا كان على وفق منهجيّةٍ واضحةٍ مدروسة يكونون بها مسلمين أقوياء وأصحابَ طريقٍ بيّنٍ ودليلٍ مرسوم وحصانةٍ عاليةٍ تُمكّنهم من إظهارِ عبادةِ الله تعالى وإقامةِ شريعته في الأرض.

كما أدركوا ﷺ أنّ عمادَ نهضةِ المجتمعِ المسلمِ الفاعل، وقوّتَه، وأُسَّ صلاحِه وفلاحِه يبدأ من الإنسان، فبذلوا جهودا واسعة مع أنفسهم؛ كي ينالوا قدْرًا أعلى من الحصانة الفكرية ما بلغها غيرهم، ويتعلموا من مدرسة الوحي والنبوة التي فتحت لهم الآفاق ونقلتهم نقلة نوعية من الجهل المطبق الذي كانوا عليه قبل الإسلام إلى العلم الواسع الذي نالوه بالإسلام.

وقد كانت عناية الصحابة ﷺ ببناء الحصانة الفكرية عناية كبيرة جدا؛ فلم يكن ما تعلموه من الدين علما عاديا أو أوّليًّا يقوم على الحفظ والتلقين دون وعي وإتقان وإيمان يخالط بشاشة القلوب وعلم وعمل. ولم يقتصر دورهم في تحصيل العلم على جانبه النظري البحت، وإنما شاركوه الجانب العملي والتطبيقي، ومارسوا ما تعلموه بروح عالية، مما أسهم بشكل كبير في تثبيت دعائم العلم لديهم ورسوخهم فيه. ساعد على هذا وجودهمﷺ بين يدي رسول الله ﷺ حيث نالوا شرف الصحبة، فكانوا يلازمونه ﷺ كظلّه، وينهلون من ينابيع العلم والحكمة باستمرار، ويقطفون من ثمار الوحي اليانعة في كل وقت وحين.

وكان عصر الصحابة ﷺ خير العصور وأزهاها، وقلوبهم كانت أندى القلوب وأزكاها. وكانوا أقرب إلى الفطرة وأبعد عن الشبهة، لا يتكلّفون أو يزيدون

أو ينقصون، وعلى منهج الكتاب والسنة يسيرون، حتى غابت عن جيلهم الكثير من الشبهات والبدع والأهواء التي ظهرت في أزمان أخرى؛ بسبب قربهم من رسول الله ﷺ، ونزول القرآن غضا طريا عليهم، وحرصهم الشديد ﷺ على التعلم من العلم الذي علّمهم إياه الله تعالى في الكتاب، وعلمهم إياه الرسول ﷺ في السنة المطهرة، دون أن يكون للرأي المجرد والهوى محلٌّ عندهم.

ولقد حرص الصحابة ﷺ منذ أن نزل الكتاب المبين وهم بين ظهراني الرسول ﷺ على أن يأخذوه بقوة، ويتحملوا مع رسول الله ﷺ مسؤولية وتبعات تبليغه ونشره، ويقوموا بواجب تبيينه للناس، ويقفوا ضد أهل الآراء الشاذة والأفكار المتطرّفة والشبهات الحادثة بالبنان والبيان والسنان. وكان منهجهم واضح مرسوم في حماية العقيدة والذبّ عنها، والتحصين ضد كل الآراء المضللة المثيرة للشبهات، التي تريد إزاحة الدين وجعْله في حيّز ضيق لا يتفاعل مع معطيات الواقع. ولذلك كان الصحابةﷺ أجدر الناس بالاقتداء والاتباع بعد رسولنا ﷺ. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[١]. وقال ﷺ: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمدﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه. فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ)[٢].

وقد حاولت في دراستي هذه، استقصاء ما أمكن من آثارهم ﷺ المتعلقة بموضوع الدراسة؛ رغبة في إيجاد قاعدة صلبة نبني عليها دعائم العلم والمعرفة بالدين والكتاب، بذات القوة والتمكين التي كان عليها جيل الصحابة ﷺ؛ فنكون من أسلافهم في باب الحصانة الفكرية. ولو أنّ لسان الحال يقول ما قاله عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى-:

---

[١] رواه ابن عبد البر في الجامع. ١٨١٠

[٢] رواه أحمد في مسنده. (٣٧٩/١)

(لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد)[1].

**مشكلة البحث:** تكمن مشكلة البحث في السؤال الآتي:

- ما هو منهج الصحابة ﷺ في بناء الحصانة الفكرية؟

**منهج البحث:**

اعتمدت في البحث المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي؛ حيث نظرتُ- أولا- لمكانة الصحابة ﷺ عند الله تعالى ورسوله؛ لأنها تعطي وصفا دقيقا لأخلاقهم وأحوالهم. هذا إلى جانب وقوفي على منهج النبي ﷺ مع أصحابه ﷺفي بنائهم العلمي، لأن ما كانوا عليه ليس إلا ثمرة جهده معهم، وحرصه عليهم، ليقوموا بالدور الذي قام به من بعده. ونظرتُ-ثانيًا- للمنهج الذي اعتمده الصحابة ﷺ في بناء الحصانة الفكرية، وكيف كان أثر ما قد تعلموه في حياتهم على الصعيد الشخصي والاجتماعي؟

**هيكل البحث:**

**المقدمة:** وفيها، أهمية الموضوع وتقسيمات البحث والمنهج المتبع فيه

**المبحث الأول:** مكانة الصحابة ﷺ في القرآن والسنة

**المبحث الثاني:** منهج الصحابة ﷺ في بناء الحصانة الفكرية

**الخاتمة:** وفيها، أهم النتائج

## المبحث الأول: مكانة الصحابة ﷺ في القرآن والسنة

للصحابة الكرام ﷺ شأنٌ عظيمٌ في الدين، فقد أثنى عليهم الله تعالى ورسولهﷺ، وبيّنوا عظيم فضلهم وصلاح حالهم. والنصوص الواردة بشأنهم في القرآن والسنة تحمل الكثير من أوصافهم وسجاياهم وما كانوا عليه من العلم والفضل. على أنه -وكما يقول الخطيب البغدادي- (.. لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكّين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء)[2].

والصحابة ﷺ -بحسب درجاتهم- هم الخلفاء الأربعة، ثم بقية الستة من

---

[1] فضل علم السلف على علم الخلف٣٢

[2] الكفاية. الخطيب البغدادي. ٤٩

العشرة، ثم سائر أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان. فهؤلاء هم خيار الصحابة وأفضلهم الذين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وسأورد مكانتهم في الكتاب والسنة بإجمال، ثم أُبيّن منهج النبيﷺ في البناء العلمي؛ لارتباطه الكبير بمنهج الصحابة ﷺ.

**أولا- مكانة الصحابة ﷺ في القرآن**

يمكن إجمال مكانة الصحابةﷺ في القرآن بالنظر في عدة أمور:

**١- السبْق إلى الإيمان:**

فقد حاز الصحابة ﷺ قدم السبق في الإيمان والفضل، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١]، يقول القرطبي -رحمه الله-: (نص القرآن على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم الذين صلوا إلى القبلتين، في قول سعيد بن المسيب وطائفة، وفي قول أصحاب الشافعي هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، وهي بيعة الحديبية ، وقاله الشعبي. وعن محمد بن كعب وعطاء بن يسار: هم أهل بدر. واتفقوا على أن من هاجر قبل تحويل القبلة فهو من المهاجرين الأولين من غير خلاف بينهم. أما أفضلهم...فقال أبو منصور البغدادي التميمي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية)[٢].

وقد حبب الله تعالى إليهمﷺ الإيمان وزينّه في قلوبهم، حتى أصبحت عندهم الأهلية الكاملة لتبليغ دين الله ومؤازرة رسول الله ﷺ وحمل عبء الدعوة والرسالة معه، قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [٣].

**٢- تحقّق الإيمان وزيادته:**

فالصحابة ﷺ مشهود لهم من عند الله تعالى بتحقق الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ

---

[١] التوبة: ١٠٠

[٢] انظر: تفسير القرطبي، ٢٠٣

[٣] الحجرات:٧

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[2]، وزيادة الإيمان شهادة بتحقّق الإيمان أولًا؛ فالزيادة تكون بعد الإيمان. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، فيذكر الله تعالى نعمته على نبيه ﷺ بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار، وهذا يعني شهادة الله تعالى لهم بتحقّق الإيمان، وأنهم جيش وجماعة قد تحققت بهم النصرة والكفاية والعزّة والتأييد. وقال الله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[4]، وكلمة التقوى هي التوحيد والإيمان الذي ثبّت الله تعالى عليه وألزم به أصحاب بيعة الرضوان ﷺ.

**٣-الإكثار من العبادة وحسن أدائها:**

فأثنى الله تعالى على الصحابة ﷺ ، وبيّن أنهم أهل عبادة، يكثرون من الصلاة والركوع والسجود، وأنهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [5]، وكانت ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [6]، امتثالا لأمر الله تعالى ورسوله. يروي عبد الله بن سلام ﷺ، أنّ النبيﷺ لمّا دخل المدينة، كان أول ما قاله لأهلها: (أَيُّهَا النّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنّةَ بِسَلَام)[7].

فكانت تبدوا عليهم ﷺ علامات كثرة السجود، كما وصفهم الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)[8]، في تفسير الطبري: (إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كلّ الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء

---

[1] الأنفال:٧٤
[2] الفتح:٤
[3] الأنفال:٦٢
[4] الفتح: ٢٦
[5] الذاريات: ١٧
[6] السجدة:١٦
[7] أخرجه الترمذي ٢٤٨٥ وابن ماجه ١٣٣٤، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.
[8] الفتح:٢٩

فرائضه وتطوّعه. وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرّة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود)[١].

**٤-الاتّصاف بالأخلاق الحميدة:**

فالصحابة الكرام ﷺأهل رشد وسداد، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٢]، كما أنهم أهل صبر وشجاعة وقوة عند الشدائد، فقال الله تعالى:(وكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٣]. كما أنهم أهل صدق واحتساب وتضحية، فقال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٤].كما أنهم أهل عفو وإحسان، فكانوا يبادرون للعفو والإحسان حتى مع المعتدين، ولو بدى في النفس شيء، فبمجرّد أن يُبيّن الله تعالى يكون جوابهم غير السمع والطاعة وسرعان ما يزول ما قد كان في صدورهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٥].

كما يتصفون بسلامة صدورهم ورقّة قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ*وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٦].

---

[١] تفسير الطبري. ٥١٥

[٢] الحجرات:٧

[٣] ال عمران:١٤٦

[٤] الحشر:٨

[٥] النور:٢٢

[٦] الحشر: ٨-٩

كما أنهم أهل إيثار وتضحية ورحمة ومحبة لبعضهم، وأهل قوة وصلابة وشدّة وغلظة على الكفار. قال الله تعالى:﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [1].

**ثانيًا- مكانة الصحابة ﷺ في السنة النبوية:**

للصحابة الكرام ﷺ عند رسول الله ﷺ قَدْرٌ كبير، فهم الذين صدّقوه ووعَوا دعوته ونصروه في الوقت الذي كذبه فيه قومُه وتخلى عنه أقربُ المقربين إليه. ومن الأحاديث الواردة في حبه للصحابةﷺ وقدرهم عندهﷺ، ما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تَسُبُّوا أصْحابِي؛ فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ)[2].

وقد وجّه ﷺ الناس إلى ضرورة الاقتداء بهم كي يكونوا مثلهم أهل رشد وسداد فيثبتوا عند النوائب وتوالي الفتن، وعند وجود ما يدعوهم إلى التفرّق والاختلاف، كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذ)[3]. وقال ﷺ في بيان خيرية الصحابة ﷺ وأنهم خير القرون كما في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: (خيرُ القرونِ قرْني، ثمَّ الَّذين يلونَهم، ثمَّ الَّذين يلونَهم. ثمَّ يأتي قومٌ يشهدونَ ولا يُستشهدونَ، وينذُرونَ ولا يوفونَ، ويظهرُ فيهم السِّمَنُ)[4]. وقال ﷺ -كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه- في بيان أن الصحابة الكرام ﷺ من ميراث النبوة الباقي، وذهابهم يعني أوان ظهور البدع والمحدثات: (النجومُ أمنَةٌ للسماءِ، فإذا ذَهَبَتِ النجومُ أتَى السماءَ ما توعَدُ. وأنا أمنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابِي ما يوعدونَ. وأصحابي أمنَةٌ لأمَّتِي، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدونَ)[5]. وفي بيان أنّ جيل الصحابة ﷺ هو أسلم جيل من البدع والمشتبهات، وأنهم لزموا المنهج النبوي التزاما تاما؛ حتى ليأتي زمان يُسأل فيه عن أصحاب رسول الله وعن أصحاب أصحابه؛ استبشارا بهم واطمئنانا إلى أنّ النصر والعزة والتمكين بقوا. يقول ﷺ كما في حديث أبي سعيد رضي الله

---

[1] الفتح:٢٩

[2] أخرجه البخاري.٣٦٧٣، ومسلم. ٢٥٤١ باختلاف يسير

[3] أخرجه أبو داود ٤٦٠٧ الترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٢، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[4] أخرجه البخاري، (٦٦٥٩).

[5] أخرجه مسلم (٢٥٣١)

عنه: (يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فيَغْزُو فئامٌ منَ النَّاس، فيَقولونَ: فيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّه ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فيَغْزُو فئامٌ منَ النَّاس، فيُقالُ: هلْ فيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّه ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فيَغْزُو فئامٌ منَ النَّاس، فيُقالُ: هلْ فيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّه ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ)[١].

وفي بيان تغيّر الزمان من بعده ﷺ ، ووصية النبي ﷺ للصحابة الكرام ﷺ بالاستمساك على ما هم عليه، وكيف يتعاملون مع المتغيرات من حولهم يقول ﷺ في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها. قالوا يارسول الله كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم)[٢].

وبنحوه يقولُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عمْرٍو السُّلَميُّ، وحُجْرُ بنُ حُجْر: أتينا العرباضَ بنِ ساريةَ، -وهو ممن نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [٣] - فسلَّمنا، وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين. فقال العرباضُ: صلى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوبُ. فقال قائلٌ: يا رسولَ الله! كأن هذه موعظةُ مُودِّعٍ، فماذا تعهد إلينا؟ فقالﷺ: (أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعةِ وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا. فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ)[٤].

ومن الأحاديث الواردة في فضل الصحابة ﷺ ووصية النبي ﷺ للناس باتباع منهجهم ﷺ واقتفاء أثرهم في التعلم والبناء، قوله ﷺ -الذي يرويه سفينة مولى الرسول ﷺ-:(خلافةُ النُّبوَّةِ ثلاثون سنةً، ثم يُؤتي اللهُ الملكَ مَن يشاءُ)[٥]. والحديث

---

[١] أخرجه البخاري (٢٦٤٩) و (٢٨٩٧) وبنحوه مسلم (٢٥٣٢)

[٢] أخرجه البخاري (٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣) باختلاف يسير

[٣] التوبة:٩٢

[٤] أخرجه أبو داود ٤٦٠٧ واللفظ له، الترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٢، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[٥] أخرجه أبو داود ٤٦٤٦، والترمذي ٢٢٢٦، وقال: حديث حسن.

واضح الدلالة في بيان أن منهج الصحابة ﷺ قائم على المنهج النبوي، ومن أراد أن يكون عنده من الإيمان ما كان عند الصحابة ﷺ فليلزم طريقهم.

وفي بيان أنّ النبي والصحابة ومن سار على نهجهم هم الفرقة الناجية، يقول ﷺ في الحديث الذي يرويه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: (ليأتينَّ على أمَّتي ما أتى على بني إسرائيل حَذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ، حتَّى إن كانَ منهم من أتى أُمَّهُ علانيَةً لَكانَ في أمَّتي من يصنعُ ذلكَ، وإنَّ بَني إسرائيل تفرَّقت على ثِنتينِ وسبعينَ ملَّةً، وتفترقُ أمَّتي على ثلاث وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا ملَّةً واحِدةً، قالوا: مَن هيَ يا رسولَ اللَّه؟ قالَ: ما أنَا عليهِ وأَصحابي)[1].

ولمّا كان القرآن الكريم هو الكتاب الأول الذي تعلّموه ورسخ علمهم به وتعمّق فهمهم لدلالات النصوص ووقوفهم عندها، فقد استثمروا ذلك ﷺ في تعليم الناس، وكان ﷺ يُعيّن بعضهم ﷺ بأسمائهم، يقول ﷺ في الحديث الذي يرويه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: (اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَة: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعاذِ بْنِ جَبَلٍ)[2].

وكان ﷺ حين يُعلمهم يشجعهم على هذا، ويُقدّم في المهمّات والأعمال الصغيرة والكبيرة أكثرهم أخذا بالقرآن الكريم وأكثرهم علما وفهما. وكان ﷺ يصفهم بألقاب تحفيزية، فلقّب أبا بكر ﷺ بالصدّيق، ولقّب خالد بن الوليد ﷺ بسيف الله المسلول، ولقّب أبا عبيدة ﷺ بأمين هذه الأمة، وغير ذلك من ألقاب تؤكد -إلى جانب أهمية رسوخ العلم والأخلاق- أهمية دور القدوة، وأن تُصبح الأمة في القوة والكفاءة العلمية والعملية بمثابة الرجل الواحد، وأهمية استثمار الكفاءات في الأعمال المختلفة التي تصب في مصلحة المجتمع المسلم.

وقد كان الصحابة ﷺ في الأعمال التي يتولّونها يركنون إلى الدين القيّم اقتداءً بالنبي ﷺ وسيرًا على نهجه؛ فيؤدون المهمات بإتقان وإخلاص، ويحتسبونها لله تعالى، ويقدّمون أحسن ما عندهم؛ فهذا عثمان ﷺ بلغ من همّته أن أفنى ماله في سبيل الله، قَال النَّبِيُّ ﷺ في حديث عثمان رضي الله عنه: (مَنْ يَحْفِرُ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ) [3]. فَحَفَرَها عُثْمان ﷺ، وقَالَ ﷺ في حديث عثمان رضي الله عنه: (مَنْ جَهَّزَ

---

[1] أخرجه الترمذي (٢٦٤١) في سنده عبدالرحمن بن زياد الإفريقي فيه ضعف، إلا أن الحديث له شواهد يتقوى بها.

[2] أخرجه البخاري. ٣٧٥٨

[3] أخرجه البخاري. ٢٧٧٨.

جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ)[١]، فَجَهَّزَهُ عُثْمانﷺ. وهذا بلالﷺ لم يكن يريد بعتقه سوى العمل لله تعالى، وقد قال لأبي بكرﷺ حين أعتقه: (إِنْ كُنْتَ إِنَّما اشْتَرَيْتَنِي لِنَفْسِكَ فَأَمْسِكْنِي، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّما اشْتَرَيْتَنِي لِلَّه، فَدَعْنِي وَعَمَلَ الله)[٢]. وهذا عليﷺ ، –يقول عنه سَلَمَةَ بن الأكوع–: كانَ عَلِيٌّ ﷺ قَدْ تَخَلَّفَ عن النَّبِيِّ ﷺ في خَيْبَرَ؛ وَكانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقالَ: أَنا أَتَخَلَّفُ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! فَخَرَجَ عَلِيٌّ ﷺ فَلَحِقَ بالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كانَ مَساءُ اللَّيْلَةِ الَّتي فَتَحَها اللهُ في صَباحِها، قال رَسُولُ الله ﷺ: (لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ _أَوْ: لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ_ غدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ _أَوْ قال: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ_ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْه. فَإِذا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَما نَرْجُوهُ، فقالوا: هَذا عَلِيٌّ، فَأَعْطاهُ رَسُولُ الله ﷺ ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْه[٣]. وندَبَ النبيُّ ﷺ النَّاسَ، فانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ، فانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ، فانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فقالَ ﷺ: (إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًّا وإنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ)[٤].

وهذا سعد بن وقاصﷺ يَقُولُ: ما أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلَام[٥]. وهذا سعد بن معاذ ﷺ ، يقول فيه ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: (اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعاذ)[٦]،

وأما أُبَيّ بن كعب ﷺ فبلغ من مكانته وفضله أن يذكره الله تعالى لرسوله ﷺ، يقول أَنَس بْنِ مالك ﷺ: قالَ النَّبِيُّﷺ، لِأُبَيٍّ: (إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٧]، قالَ: وَسَمَّانِي؟ قالَ: (نَعَمْ). فَبَكَى[٨].

وأما زيد بن ثابت ﷺ، فكان ممن أسهم في جمع القرآن الكريم، يقول أنسﷺ : (جَمَعَ الْقُرْآنَ علىَ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصارِ: أُبَيٌّ، وَمُعاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثابِتٍ)[٩].

---

[١] أخرجه البخاري. ٢٧٧٨
[٢] أخرجه البخاري. ٣٧٥٥
[٣] أخرجه البخاري. ٣٧٠٢
[٤] أخرجه البخاري. ٢٨٤٧، ومسلم. ٢٤١٥
[٥] أخرجه البخاري.٣٧٢٧
[٦] أخرجه البخاري.٣٨٠٣
[٧] البينة:١
[٨] أخرجه البخاري.٣٨٠٩
[٩] أخرجه البخاري: ٣٨١٠.

وأما طلحة ﷺ فيروي أَنَس ﷺ قالَ: لَمَّا كانَ يَوْمُ أُحُد انْهَزَمَ النَّاسُ عن النَّبيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَي النَّبيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ به عَلَيْه بِحَجَفَةً لَهُ، وَكانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا راميًا شَديدًا، لَقَدْ يَكْسرُ يَوْمَئذ قَوْسَيْن أَوْ ثَلَاثًا، وَكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ منَ النَّبْل، فَيَقُولُ ﷺ: «انْشُرْها لأَبي طَلْحَةَ». فَأَشْرَفَ النَّبيُّ ﷺ يَنْظُرُ إلى الْقَوْم، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يا نَبيَّ الله بأَبي أَنْتَ وَأُمِّي لا تُشْرِفْ يُصيبُكَ سَهْمٌ منْ سهامِ الْقَوْمِ نَحْري دُونَ نَحْرِكَ[1].

وهذا أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة، أرسله الرسول ﷺ لمهمة عظيمة فكان خير سفير للإسلام، فعن حُذَيْفَةَ ﷺ قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ لأَهْل نَجْرانَ: (لأَبْعَثَنَّ _يَعْني: عَلَيْكُمْ، أَمينًا حَقَّ أَمين). فَأَشْرَفَ أَصْحابُهُ، فَبَعَثَ أَبا عُبَيْدَةَ ﷺ[2]. وقال عنه ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه: (إنَّ لكُلِّ أُمَّة أَمينًا، وَإنَّ أَمينَنا أَيَّتُها الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ)[3].

ومما قاله ﷺ في بيان حرصه على معرفة سمات الصحابة وقدراتهم الخاصة وتوظيفها بالشكل المناسب وفي المكان المناسب، وفي التأكيد على أهمية معرفة مواطن القوة عند كل أحد واستثمارها، قوله ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه: (أرحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أُبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[4].

**ثالثًا- منهج النبي ﷺ في البناء العلمي لأصحابه ﷺ**

لا شكّ أنّ الحصانة التي كان عليها الصحابة ﷺ لم تأت من فراغ، فقد اعتنى النبي ﷺ كثيرا بأصحابه منذ أن نزل عليه القرآن وأمره الله تعالى بتبليغ دينه. ولكن كانت قابلية الصحابة ﷺ للتعلّم عالية جدا؛ بالفطرة النقية التي كانوا عليها، وبحبهم وتصديقهم لرسول الله ﷺ،

وكان ﷺ يهتم لشؤونهم، ويعرف أحوالهم، ويلمح نقاط قوتهم وضعفهم، فيُصلح ما يحتاج منها لإصلاح، ويستثمر ما ناسبه الاستثمار. وفي الوقت نفسه كان

---

(1) أخرجه البخاري.٣٨١١

(2) أخرجه البخاري: ٣٧٤٥

(3) أخرجه البخاري. ٣٧٤٤

(4) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠، وابن ماجه ١٥٤، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

يحرص الصحابة ﷺعلى إصلاح أنفسهم واستثمار مزاياهم مثلما كان يفعل معهم ﷺ،

وكان ﷺ يحبّ أن يرى أثر العلم عليهم، فلم يكن يقوم بدور نقل العلم والتلقين دون حرص على رؤية أثر ذلك عليهم في حياتهم؛ لأن الأصل من تعلّم العلم؛ هو الوعي به وتحصيل أثره.

وقد اتّبع النبي ﷺ منهجية منضبطة لتعليمهم؛ فركّزﷺ كثيرا على البناء المحكم الضابط للعلم، وحرصﷺ أن يأخذوا العلم عنه مباشرة؛ تأكيدا على قيام الدين على الاتّباع، وأهمية الوقوف عند النص الشرعي.

وقد بيّنﷺ أنه سيأتي من يقوم بتأويل القرآن من غير حصانة تعصمه من الهوى والفتنة والابتداع، فقَالَ ﷺ في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: (إنَّ منكم مَن يُقاتِلُ على تَأْويلِه كما قاتَلتُ على تَنزيلِه)[1]، وحدَثَ ذلك في خلافة علي ﷺ حين قاتَلَ هو ومن معه من الصَّحابةﷺ الخوارجَ على تَأْويلِ القُرآن. كما أنَّه ﷺ قاتَلَ الكُفَّارَ معَ النبيِّ ﷺ؛ عندَ تَكْذيبِهم بالقُرآنِ واعْتِقادِهم أنَّه من عندِ غيرِ اللهِ وقولهم غير ذلك، وكانت تلك الفترة هي بداية أوان ظهور البدع والمحدثات التي حذر منها ﷺ.

**وإذا نظرنا لمنهج النبي ﷺ في تعليم أصحابهﷺ، فإنّ أول ما أسّسهم عليه:**

**١. بناء المحكمات:**

فحرص ﷺ على البدء بالمحكمات والانطلاق منها برؤية شمولية كلية تُردَ إليها المتشابهات؛ لإصابة الحقيقة ودفع التأويلات الباطلة. فالانطلاق من المحكم كأساس يُرد عليه المتشابه، هو منهج نبوي شرعي يخالف منهج أهل الأهواء والشبهات الذين يعكسون هذا فيردّون المحكم إلى المتشابه اعتمادا على الرأي والهوى لا على النص والدليل. وقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ عن هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

---

[1] أخرجه أحمد (١١٢٨٩) وهو حديث صحيح.

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [1]، فقالَ ﷺ :(إذا رأيتُمُ الَّذينَ يتَّبعونَ ما تشابَهَ منهُ فأولئكَ الَّذينَ سمَّاهمُ اللَّهُ فاحذَروهم)[2].

**٢. اجتماع الكلمة ووحدة الرأي:**

فكان ﷺ يوجه أصحابه إلى خطورة التفرق وأنها سبب ضياع الدين بين أهله، وتفتيت وحدة المسلمين وتفريق شملهم، وكثرة الآراء والأهواء، والقول بلا علم. ويبيّن باستمرار أنّ غياب الوحدة سبب رئيسي في انتشار البدع والمحدثات. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر ﷺ بالجابية، فقال:( يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: (أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن)[3].

**٣. تقديم المصلحة العامة:**

فأكّد ﷺ على أمر تغليب المصلحة العامة على المصالح الشخصية، لأنّ تقديم المصلحة الخاصة من موجبات تفرّق الأمة وفضّ وحدتها واشتغالها بمصالحها الشخصية. وللشيطان دور –على المسلم– حين يخلو بنفسه وينفرد برأيه فيكون عرضة للانحراف. وهذا الأمر مذكور في كثير من الآيات، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [4]. وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [5]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [6]. فهذه الآيات كلها تؤكد أنّ أول الأمور التي ينبغي أن تكون حاضرة عند المسلم الإخلاص لله تعالى وابتغاء ما عنده، ولو كان الأمر مُتعلّقًا بالمصالح الفردية، لما قامت للمؤمنين قائمة، ولأصبحوا أحزابًا وجماعاتٍ متفرقة، كل طائفة تتّهم الأخرى، ولغابت المصلحة الأساسية بين الأطراف.

---

[1] آل عمران:٧

[2] أخرجه البخاري ٤٥٤٧، ومسلم ٢٦٦٥.

[3] أخرجه الترمذي ٢١٦٥، وابن ماجه ٢٣٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[4] سبأ: ٤٧

[5] الشورى:٢٣

[6] الإنسان:٩

## المبحث الثاني: منهج الصحابة ﷺ في بناء الحصانة الفكرية

اعتمد منهج الصحابة ﷺ في بناء الحصانة الفكرية على مبدئين مهمين هما: الهمة في تحصيل العلم، والهمة في استثماره، فلم تقف همتهم عند مجرد أن يتعلموا، وإنما أحبوا أن يمارسوا الدور الذي تعلّموه وينشروه بين الناس. ومعلوم أن تثبيت العلم يكون بتعليمه وممارسته، وكذلك فتحصيل العلم يولّد رغبة في نشره وتبليغه للناس؛ خاصة إذا اقترن هذا بعقيدة يُتقرّب بها لله تعالى، وحرْص على هداية المسلمين وعلو شأنهم. وقد تميز منهج الصحابة ﷺ بهذين المبدئين ما أسهم بشكل كبير في إكسابهم حصانة فكرية عالية.

وأول ما عني به جيل الصحابة ﷺ تأسيس أنفسهم وتحصيل القدر اللازم من العلم والفهم، من ينبوعه الأصيل الكتاب والسنة. وبرغم أنهم ﷺ كانوا حديثي عهد بالإيمان؛ فقد نزل القرآن عليهم وفي قلوبهم دين وعقيدة تخالف دين وعقيدة القرآن، إلا أنّ سطوة القرآن وتأثيره عليهم كان كبيرا. ولم يقتصر هذا على زوال كل ما كان عالقا في نفوسهم من أمر الجاهلية الأولى، بل غياب الشبهة ووضوح الأمر وقوة اليقين.

ولقد حرص الصحابة الكرام ﷺ منذ أن آمنوا بالدين والكتاب على أن يكون الدين الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ هو منطلقهم الأول لبناء الوعي الإنساني كما هو منطلقهم الأول لبناء العقيدة الصافية، وكانوا يتعلمون بالتدرج فلا يُبقون مسألة عالقة في نفوسهم دون ضبطها بالعلم، فعن أبي عبد الرحمن قال:(حدّثَنا الّذين كانوا يُقرئوننا، أنهم كانوا يستقرئون من النبيﷺ ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن، والعمل جميعاً)[1].

وعن همّة الصحابة العالية في التعلّم والبناء، يقول جُنْدُب بْن عَبْد اللَّه ﷺ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)[2]. وبنحو هذا يقول أبو مُوسَى الأَشْعَرِيَّ رضي الله

---

[1] أخرجه الطبري في تفسيره. (١/٣٥- ٣٦)، وإسناده حسن. وانظر: سيرة ابن هشام. للذهبي. ٤٩٠

[2] أخرجه ابن ماجه ١/ ٧٤ رقم ٦٤، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٦ رقم ٥٢.

عنه: قَدِمْتُ أَنا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكُثْنا حِينًا ما نُرَى إِلَّا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّﷺ؛ لِما نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ على النَّبِيِّﷺ[1].

فكانوا ﷺ يحرصون على تثبيت علوم الاعتقاد من القرآن مباشرة؛ لعلمهم أنه يقي من الشبهات ويُجيب عن الاستشكالات، وعندما يردهم سؤال واستفهام يسألون أعرفهم بكتاب الله تعالى، ويعرفون ممن يأخذون دينهم، وأولهم رسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب للسنة والاتباع.

وكان الصحابة ﷺ عند حسن ظن النبي ﷺ بهم، يحضرون مجالس العلم، ويقتربون منه ويستمعون له، ثم يعملون بما علموه مباشرة، ويُعلّم بعضهم بعضا. وقد أوكل إليهم ﷺ إذا سمعوا أن يُبلغوا، وإذا تعلموا أن يعلموا، وإذا فقهوا أن يُفقّهوا. ومن ذلك أنّ زَيْد بْنُ ثَابِتٍ ﷺ خرج مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَﷺ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالَ الصحابة الذين معه ﷺ: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ إِلاَّ لِشَيْءٍ سَأَلَهُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ : أَجَلْ سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْتُهَا أَوْ سمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)[2]. وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[3]. وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول:( لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)[4].

وبرغم أنّ للصحابة ﷺ أعمالا وتجارات، لكن أعمالهم وتجاراتهم لم تمنعهم من أخذ العلم من مصادره الأصيلة الكتاب والسنة، ولم تغنهم أموال الدنيا وعلومها عن تعلمّ دين الله. وكانوا في حال انشغالهم ﷺ يتبادلون الأدوار، ويتناوبون على حضور مجلس الرسول ﷺ رجاء ألا يفوتهم شيء من العلم بين يديه ﷺ. قال عمر ﷺ: (كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ،

---

[1] أخرجه البخاري.٣٧٦٣

[2] أخرجه أبو داود ٣٦٦٠، والترمذي ٢٦٥٦، وابن ماجه ٢٣٠، وقال الترمذي: حديث حسن.

[3] أخرجه مسلم. ١٩٢٠

[4] أخرجه البخاري ٧٤٦٠، ومسلم ١٠٣٧

وكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ)[١].

وبعض الصحابةﷺ لم يكن من سكان المدينة، فكان يشد الرحال إليها، فيشهد مجلس النبي ﷺ مدة، ثم يعود إلي أهله فيعلمهم ما تعلم منهﷺ. قال مَالك بْن الْحُوَيْرِثﷺ: (أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّه ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ)[٢]. ويقول ابن عباس ﷺ: (كنت آتي بابَ أُبيِّ بن كَعْب وهو نائم، فأقيل على بابه)[٣] ينتظره حتى يخرج ليأخذ منه الحديث.

وهذه الهمة العالية التي كان عليها الصحابة ﷺ في طلب العلم لم تكن محصورة على الرجال، بل حرصت المؤمنات على ذلك، فعَنْ أَبِي سَعِيد: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ الله. فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا). فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ الله، ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ). فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ الله، اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: (وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ)[٤].

**أثر تحصيل العلم في نفوس الصحابةﷺ**

يُدرك الصحابة الكرام ﷺ أنّ تأثير هذه العناية بالدين والكتاب على النفس لا يحصل لكل أحد بذات المستوى، وإنما يناله المسلم بحسب اجتهاده وسعيه. ولذلك سعوا ﷺ بكل همتهم للقرآن، وصبروا للوصول إليه وللوعي الكامل به، حتى أصبح العلم عندهم بديهيًا وواضحًا، وأصبحت عندهم بصيرة يبصرون بها الحق ويميّزون ما جاء فيه عن غيره من الأمور المشتبهات. وكان سعيهم الحثيث ﷺ لتعلم القرآن

---

[١] أخرجه البخاري .٨٩. ومسلم. ١٤٧٩.
[٢] أخرجه البخاري. ٦٣١. ومسلم. ٦٧٤.
[٣] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٨٣/٢.
[٤] أخرجه البخاري.٧٣١٠

سببًا لسعي القرآن إليهم؛ فلمّا وعوه وحفظوه حلّ في قلوبهم، وتَملّك عقولهم، حتى تمكّنوا منه، فأصبحوا انعكاسًا للقرآن في أرض الواقع.

**ومن الصفات التي اكتسبوها ﷺ بالعلم والإيمان:**

**سلامة الفكر والنظر:**

وقد بلغ الصحابة ﷺ القدر العالي من سلامة الفكر والنظر، والبعد عن الشبهات والأهواء والآراء المُزِلّة؛ لأنّ العلوم النافعة التي دل عليها القرآن، تورث حياة القلب وصلاح العمل، وهي أصل صلاح السيرة والسريرة. ولذلك استوعب الصحابة ﷺ حقيقة أن تلك الحصانة الفكرية التي تحققت لديهم، والسلامة التي يجدونها في صدورهم لم تأت من فراغ، وإنما جاءت من عكوف دائم على كتاب الله تعالى، وإمعان نظر فيه حتى نالوا أعلى درجات العلم واليقين؛ فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يقول تعبيرا عن فرحه بالحال الذي وصل إليه من السلامة عن الشبهات وخلوّ القلب عنها: (ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء)[1].

**تحقق الرشد وسداد الأمر:**

القرآن يهدي إلى الرشد، والرشد هو إصابة الحقيقة والاستقامة والسداد في الأمور كلها، وضده يكون الغي والضلال. وكثيرا ما يتحدّث الله تعالى في كتابه المبين عن آلية ترشيد العقل، ويبيّن أثر الدعاء والاستقامة في تحصيل الرشد والسداد. قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [2]، وقال تعالى في ذم من ليس كذلك: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [3].

وقد كان الصحابة ﷺ أهل رشد واستقامة، يحرصون عليها على الدوام ويعلّمونها. قال ﷺ في حديث أبي قتادة رضي الله عنه: (إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا)[4]؛ عن حذيفة قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر

---

[1] أصول الاعتقاد. اللالكائي. ١/١٣٠، والطبقات. ابن سعد (١٥٩/٤) ، والجرح والتعديل (٧/٦٧)، والعلل. للدارقطني (٩/٨٨)، ولسان الميزان. (٣٥٦/٦)

[2] الكهف:١٠

[3] الأعراف:١٤٦

[4] أخرجه مسلم (٦٨١)

وعمر. واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه)[١]. فيّبين ﷺ بوضوح أن منهج الصحابة ﷺ هو منهج الرشد الذي يحقق للناس كمال العلم والفهم، ومن أراد الرشد سلك طريقهم ﷺ واتبع منهجهم في التلقي والاستدلال.

**نَيْل الفقه بالدين:**

التفقّه في الدين يعطي حصانة ومنعة ضد الأفكار المنحرفة أو المتطرّفة. وهذا غير محصور على العلماء والفقهاء، ولكنّ تعلم الدين عند الجهل به يكون من خلالهم؛ لأنهم أعلم بكتاب الله ودينه من غيرهم لاشتغالهم بعلم القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [٢]. يقول الشاطبي -رحمه الله تعالى-: (الراسخون في العلم، وهم الثابتو الأقدام في علم الشريعة)[٣]، ويقول في موضع آخر: (البدع لا تقع من راسخ في العلم، وإنما تقع ممن لم يبلغ مبلغ أهل الشريعة المتصرفين في أدلتها)[٤]. وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: (إن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكا، لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة)[٥].

وإذا جئنا لجيل الصحابة ﷺ فقد كانوا أفقه الناس بدينهم وأحرصهم على الاستدلال والاستنباط. كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب ﷺ إلى شُرَيح: (اقضِ بما في كتاب الله، فإن لَم يَكُنْ فبما في سُنَّة رَسول الله ﷺ، فإن لَم يَكُنْ فبما اجتَمَعَ عليه النَّاسُ -وفي لَفظ- فبما قَضى به الصَّالحونَ؛ فإن لَم تجدْ فإن شئتَ أن تَجتَهدَ رَأيك)[٦]. وعن عَبد الرَّحمَن بن يَزيدَ قال: (كَثُرَ النَّاسُ على عَهد عَبد اللَّه -أي ابن مَسعود ﷺ- يَسألونَه، فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، لَقد أتى علينا زَمانٌ لَسنا نَقضي ولَسنا هناكَ، ثُمَّ قدَّرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أنا بَلَغنا منَ الأمر ما تَرَونَ، فمَن ابتُليَ منكُم بقَضاء بَعدَ اليَوم فليَنظُرْ ما في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ، فليَقض به، فإن أتاه ما ليس في كتاب الله فليَقضِ ما قَضى به رَسولُ الله ﷺ، فإن أتاه ما ليس في قَضاء رَسول الله ﷺ فليَقضِ

---

[١] أخرجه الترمذي ٣٧٩٩، وابن ماجه ٩٧، وقال الترمذي: حديث حسن.
[٢] التوبة:١٢٢
[٣] الاعتصام، للشاطبي، (٦/٢)
[٤] المرجع السابق: (٢٥٠/٣)
[٥] مفتاح دار السعادة. ابن القيم. (٤٤٢/١)
[٦] أخرجه النسائي. ٥٣٩٩.

ما قَضى به الصَّالحونَ، ولا يَقولَنَّ أحَدُكُم: إنِّي أرى، إنِّي أخافُ، فإنَّ الحَلالَ بَـيِّنٌ وإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبَينَ ذلك أمرٌ مُشتَبِهٌ، فدَعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك)[١].

**الوقوف مع الحقائق ومجانبة الشبهات:**

وجّه القرآن الناس إلى الحقيقة وحارب ضدّها، وأكّد على ضرورة مدافعة الباطل بالحق حتى لا يستشري الباطل فيقبله الناس بلا معرفة أو علم، بسبب الجهل به والغفلة عنه. وقد حرص الصحابة ﷺ على قول الحق، استشعارا لقول الله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [٢]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٣]، وقول الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوكَرِهَ الْمُجْرِمُون﴾[٤]، وقول تعالى في النهي عن كتمان الحق وتلبيس الحق بباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٥]. فلم يكونوا ﷺ يخافون في الله لومة لائم، فهذا أبو ذرﷺ يقول: (مَا زَالَ بِي الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى مَا تَرَكَ الْحَقُّ لِي صَدِيقًا)[٦]، وهذا حمزة بن عبد المطّلب ﷺ جاءته مولاة عبد الله بن جدعان لتخبره أنّ أبا جهل قد آذى ابن أخيك محمد أذىً بالغاً، فقد شتمه وأهانه، فغضب ﷺ لذلك غضباً شديداً، وذهب إلى أبي جهل متوشّحاً قوسه، وقام بضربه به، وقال له: (أتسبُّ محمداً وأنا على دينه أقول ما يقول، وقال له: ردّ عليّ ما فعلتُه بك إن استطعت)[٧]. ولقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ أول من جهر في القرآن الكريم في مكة بعد رسول الله ﷺ، وكان في ذلك الوقت لا يجرؤ أحد على الجهر بالقرآن الكريم سوى رسول الله ﷺ[٨].

---

[١] أخرجه النسائي.٥٣٩٧

[٢] آل عمران:١٨٧

[٣] البقرة:٢٥٢

[٤] الأنفال:٨

[٥] البقرة:٤٢

[٦] الطبقات الكبرى. ابن سعد (٢٢٢/٤).

[٧] انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٩١ -٢٩٢)

[٨] أخرجه ابن هشام مطولا ٣٠٤/١، وابن حجر في الإصابة. ٢١٥/٦ ورجاله ثقات. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي. ٤٦٦.

وقد وقف الصحابة ﷺ يردون بالحجة والبرهان على مُنكري الحقيقة ومُثيري الشبهات، مثلما بيّن الله تعالى في الكتاب، قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (١).

وقد كانوا ﷺ يتخذون تجاههم مواقف واضحة، ولكن يختلف حالهم معهم بحسب أحوالهم. لكن يظلّ الأصل الذي اعتمدوه، هو حرصهم على إخماد الفتنة، وإسكات الباطل، وعدم التشويش على المسلمين أصحاب الفطر السليمة، وعدم إثارتهم بأفكار أهل الضلال والفساد، وقطع حبال الصلة بينهم وبين الناس.

ولا يعني ذلك أنّ من وقع في شبهة ألا يسأل ليزيل عن نفسه الشبهة، لكن أن يكون مقصده من النظر في الشبهة العارضة تعلّم الحق وإزالة الجهل وتعظيم الخالق واحترام الدين؛ فلا يكون الدين أو بعض معتقداته عرضة للسخرية والاستهزاء، ولا يكون سؤاله من باب إثارة الشك بالدين. ولذلك اختلف منهج الصحابة في تعاملهم مع أهل الشبهات بحسب أحوالهم مع الشبهات وما أرادوه منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجَبه من الإجلال والإكرام الذي هو حالٌ في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح؛ إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها، فمتى لم توجب زكاة للنفس ولا صلاحا؛ فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب(٢).

**ومن صور وأشكال عناية الصحابة ﷺ في رد الشبهات:**

**١. التحذير من الشبهات:**

قال أبو بكر ﷺ للناس في بيان حرصه على اتباع الحق: (أيها الناس إنما أنا متّبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني)(٣). وقالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ في التحذير من أهل الشبهات: (إيَّاكُم وأصحابَ الرَّأيِ فإنَّهم أعداءُ السُّنَنِ

(١) الأنبياء:١٨

(٢) الصارم المسلول. (٣/٧٠٠)

(٣) العقد. ٤ / ٥٩، وعيون الاخبار ٢ / ٢٣٤

أعيتهمُ الأحاديثُ أن يحفَظوها فقالوا بالرَّأيِ فضلُّوا وأضلُّوا)[1]. وقال حذيفة بن اليمان ﷺ في بيان خطورة من استحسن الأفكار المضلّلة واعتقد صحتها بعد أن كان يستقبحها، أو استقبح الأفكار الصحيحة بعد أن كان يستحسنها ويُعظّمها:( إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تُنكر وأن تُنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلوّن في دين الله تعالى فإنّ دين الله واحد)[2]. وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: (اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم. كل بدعة ضلالة)[3]. والزيادة في الدين أو ترْك شيء منه تُعَدُّ تعدّيًا وتطاولاً وسوء أدب مع الله وعدوانًا على الدين؛ إذ إنّ الدين كله قائمٌ على الإجلال والتعظيم.

وقد كان الصحابة ﷺ أهل تحرّز وورَع في الباب الذي تدخل منه الأهواء والشبهات والبدع والضلالات، يقول الإمام البخاري في صحيحه، يقول أبو وائل شَقيقُ بنُ سلَمةَ: (جلَسْتُ مع شَيبَةَ -بن عثمان ﷺ-علَى الكُرْسيِّ في الكَعْبَة، فقالَ: لقَدْ جلَسَ هذا المَجْلسَ عُمَرُ ﷺ، فقالَ: لقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لا أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ ولَا بَيْضَاءَ[4] إلَّا قَسَمْتُهُ. قُلتُ: إنَّ صَاحِبَيْكَ لَمْ يَفْعَلَا، قالَ: هُما المَرْآنِ أَقْتَدي بهِما)[5].

وفي معنى هذا الأثر، فقد كان الناس في الجاهليَّة يُهْدون إلى الكَعبة المالَ تَعظيمًا لها، فيَجتمعُ فيها، فلمَّا أخبَرَهُ شَيبةُ ﷺ أنَّ صاحبَيه- أي النبيَّ ﷺ، وأبا بكر ﷺ- لم يَفعَلَا ذلك، وقد رَأَيَا كَنزَ الكَعبةِ وعَلموا مَكانَه وكانا أحوَجَ من عُمَرَ إلى المالِ ومع ذلك لم يُحرِّكاهْ ولم يَقسماهُ على الفُقراءِ؛ قال عُمَرُ ﷺ: هما الرَّجُلانِ الكاملانِ لا أخرُجُ عن فعلِهما، بلْ أَقتَدي بهما.

فعن معاذة قالت: (سألتُ عائشة -رضي الله عنها-، فقالت: ما بالُ الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: "أحروريةٌ أنت؟ وحروراء بلدة نزل بها الخوارج وكان عندهم غلوٌ في الدين، واعتراضات على الشرع، ومن غلوِّهم أنهم كانوا يأمرون الحائض أن تقضي الصلاة .فقالت عائشة للمرأة: "أحروريةٌ أنت؟

---

[1] أخرجه الدارقطني في (سننه) (٤٢٨٠) واللفظ له، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) (١١٢٣) باختلاف يسير.

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. اللالكائي ١٢٠، والإبانة الكبرى لابن بطة، ٥٧٢

[3] أخرجه الطبراني في الكبير، ٩ /١٥٤، برقم ٨٧٧٠. ومجمع الزوائد، للهيثمي، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١/ ٩٦، برقم ١٠٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح. ١/ ١٨١

[4] الذهب والفضة

[5] أخرجه البخاري. ١٥٩٤

أنتِ متأثرة برأي الخوارج في هذه المسألة؟ قالت: لستُ بحرورية ولكنني أسأل، فقالت عائشة: "كان يصيبنا ذلك" يعني على عهد النبي ﷺ، "فنؤمرُ بقضاء الصوم، ولا نؤمرُ بقضاء الصلاة[١].

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :الحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلا بِخَيْرٍ، فقال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينة، فقال له عمران: (أُحدثك عن رسول الله ﷺ، وتحدثني عن صحيفتك)[٢]،

وفي سنن الدارمي أن أبا موسى الأشعري لما كان في الكوفة، رأى قوماً يسبحون بالحصى، فانطلق إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في صلاة الفجر، فوجد تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على الباب، قال: أما خرج أبو عبد الرحمن؟ قالوا: لم يخرج بعد. فجلس معهم حتى خرج ابن مسعود فاكتنفوه، فقال أبو موسى الأشعري: يا أبا عبد الرحمن لقد رأيت شيئاً آنفاً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: ماذا رأيت؟ قال: إن عشت فستراه، رأيت قوماً حلقًا حلقًا وأمام كل حلقة حصى، وأحدهم يقول: سبحوا مئة، كبروا مئة، هللوا مئة، فيعدون التسبيح والتكبير والتهليل، فقال ابن مسعود :يا أبا موسى! هلا أنكرت عليهم، وقلت لهم :عدّوا سيئاتكم وأنا ضامن أنه لن يضيع من حسناتكم شيء، قال: انتظار أمرك أو انتظار رأيك. فانطلق عبد الله بن مسعود ودخل المسجد، فإذا الأمر كما وصف أبو موسى، فوقف على حلقة من هذه الحلق، وقال: ما أسرع هلكتكم يا أمة محمد، ها هو محمد ﷺ آنيته لم تكسر، وثيابه لم تبل، حتى فعلتم شيئاً ما فعله ولا أصحابه، والله إما إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلال. قالوا: يا أبا عبد الرحمن والله ما نريد إلا الخير. فقال: كم من مريد للخير لا يبلغه، إن رسول الله ﷺ حدّثنا عن أناس يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، وايم الله لعل أكثرهم منكم، والله إما إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة. قال يحيى بن يعمر: فلقد رأيت عامة هؤلاء يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج [٣]،

**٢.مناصحة أهل الشبهات ومناظرتهم:**

يقوم منهج أصحاب رسول الله ﷺ على نصح ومواجهة أصحاب الشبهات والتغليظ عليهم، إذا كان لأهل الشبهات قوة وغلبة، فيُناظرونهم لدفع شرهم، وإظهار الحق الذي كتموه حتى لا تُترك لهم الفرصة ليلبسوا على الناس. ولعل هذا يُفيد في

---

[١] أخرجه مسلم: ٧٨٧

[٢] أخرجه البخاري: ٦١١٧، ومسلم: ١٦٥

[٣] أخرجه الدارمي. ٢١٠. والطبراني في الكبير. ٨٦٣٦

إصلاحهم وردّهم للحق والصواب. وهذا حصل مع جابر بن عبد الله مع بعض من رأوا رأي الخوارج بسبب خطأ في فهمهم لبعض النصوص الشرعية؛ فعن يزيد الفقيرﷺ قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابةٍ ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله ﷺ يحدّث القوم عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنّميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله: ما هذا الذي تحدثون؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلْ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [1]، ويقول تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [2]، فما هذا الذي تقولون؟ ففهموا من هذه الآيات وغيرها تخليد أهل الكبائر وكفرهم، قال: فقال جابرﷺ: أتقرأ القرآن؟! قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد -عليه السلام-؟! يعني الذي يبعثه الله فيه!! قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه... قال يزيد: فرجعنا، قلنا: ويحكم، أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟! فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد[3].

وقد اشتهر في كتب التاريخ أنّ ابن عباسﷺ ناقش الخوارج وفنّد شبههم بالأدلة النقلية والعقلية ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب عن اعتناق فكر الخوارج[4].

**٣. البعد عن مجالس أهل الشبهات:**

لا يسلم من يخالط أهل الشبهات ويجالسهم لغير غرض شرعي معتبر من التأثر بهم، وأقلّ ما يمكن أن يحصل له أن يضعف قلبه معهم لخلو مجالسهم من ذكر الله، فكيف إذا قلنا أنه سيرى ويسمع ضلالهم ولا يُحرّك ساكنا كأنه ما رأى ولا سمع!

وقد حذّر القرآن الكريم من مجالستهم، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ

---

[1] آل عمران: ١٩٢

[2] السجدة: ٢٠

[3] رواه مسلم ١٩١.

[4] انظر: المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ١٥٧/١٠ رقم ١٨٦٧٨. وبنحوه في الحلية. أبو نعيم (الحلية ٣١٨/١). والسنن الكبرى، البيهقي، ١٧٩/٨. وجامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر ٢ / ١٠٣. والمستدرك، الحاكم،١٥٠/٢-١٥٢.

الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١] ، ففي الآية نهي عن مجالسة أهل الشبهات الذين يحرّفون كلام الله ويردونه لأهوائهم وآرائهم، فإن أقل ما يمكن فعله عندما يتعذر الإنكار عليهم أو تترتب على الإنكار عليهم مفسدة أخرى هو ألا يجلس معهم؛ لأن مجالستهم توهم الرضا والقبول لآرائهم، وهذا فيه مفسدة زائدة على مفسدة عدم الرد على الشبهة؛ فإلى جانب وقوع الضرر عليه وإمكانية استساغة ما عندهم من رأي، قد يشتبه أمر هذا عند عامة الناس، فيفتح لأهل الشبهات بابا للدخول للناس بشبهاتهم[٢].

وفي هذا المعنى، يقول أبو الأسود الدؤلي: قدمت البصرة، وبها عمران بن الحصينﷺ صاحب رسول الله ﷺ، فجلست في مجلس فذكروا القدر فأمرضوا قلبي، فأتيت عمران بن حصين فقلت: يا أبا نجيد: إني جلست مجلسًا فذكروا القدر فأمرضوا قلبي، فهل أنت محدثي عنه؟! فقال: نعم: تعلم أن الله -عز وجل- لو عذب أهل السماوات وأهل الأرض لعذبهم حيث يعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته أوسع لهم، ولو كان لك مثل أحد ذهبًا فأنفقته ما تُقُبِّل منك حتى تؤمن بالقدر كله، خيره وشره[٣].

وعن براءة كبار الصحابةﷺ عن هؤلاء وبيان هذا للناس، يقول يحيى بن يعمر ﷺ: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فَوُفِّقَ لنا عبدُ الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن: إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني[٤].

وكان طلق بن حبيب من العُبَّاد، لكنه يعتقد بدعة الإرجاء وهي أنه لا يضر مع الإيمان معصية، وقد ذكر البخاري بإسناده عن أيوب السختياني قال: ما رأيت أحدًا أعبد من طلق بن حبيب، فرآني سعيد بن جبير جالسًا معه فقال: ألم أرك مع

---

[١] الأنعام:٦٨

[٢] انظر: تفسير الشوكاني. (١٢٨/٢)

[٣] رواه أبو بكر الآجري في الشريعة .١٨٨ بإسناد حسن.

[٤] أخرجه مسلم (٨)

طلق؟! لا تجالس طلقاً، وكان طلق يرى الإرجاء[١]. وقال ابن عباس ﷺ لأبي صالح ذكوان السمان رحمه الله: لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب[٢].

وكان الصحابة ﷺ يهجرّون المبتدعة ويطردونهم من مجالسهم زجرًا لهم وتحذيرًا لغيرهم ممن تسول له نفسه بمخالفة هدي النبي ﷺ في الاعتقاد أو العمل؛ فعن الوليد بن مسلم، قال: جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن فقال له: أحرج عليك إن كنت مسلمًا لما قمت عني، أو قال: أن تجالسني[٣].

**٤.محاسبة المتطاولين من أهل الشبهات حتى لا يعم فسادهم ويجرّوا إليهم غيرهم:**

كان الصحابة ﷺ يغلقون الباب على أهل الشبهات، وإذا تطلّب الأمر يحاكمونهم إذا استفحل أمرهم وعم فسادهم، فعن سليمان بن يسار: أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ رضي الله عنه وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَضَرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، «فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ،» فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي.[٤]

وعن أنس ﷺ قال: (إن عمر بن الخطاب جلد صبيغا الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره)[٥]. وعن الزهري ﷺ قال: (إن عمر جلد صبيغا لكثرة مساءلته عن حروف القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره)[٦].

وكان ابن عباس ﷺ إذا ألح عليه رجل فى مسألة من هذا الجنس، يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ، وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام، كما قال النبى ﷺ: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما

---

[١] البخاري في التاريخ الكبير (٣٥٩/٤)
[٢] رواه أبو بكر الآجري في الشريعة ص٦٥ بإسناد حسن.
[٣] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨٠/١) بإسناد صحيح.
[٤] أخرجه الدارمي ٢٥٢/١.
[٥] أخرجه الدارمي ١ /٥٤-٥٥.
[٦] أخرجه الدارمي ١ /٥٤ – ٥٥

تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[١]. وقد ذكر هذا ﷺ لمّا تلا قول الله تعالى: ﴿هو الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ منه آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فأمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه، وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يقولونَ آمَنَّا بهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا، وَما يَذَّكَّرُ إلَّا أُولو الأَلْبَابِ﴾ [٢].

**الخاتمة**

يمكن إيجاز أهمية الحصانة الفكرية في جيل الصحابة ﷺ في عدد من الأمور:

١- الحصانة الفكرية لا بد لها من تعلم العلم النافع وشحذ الهمة لبلوغ الكفاية فيه؛ لأنّ العلم الصحيح يُشكّل القاعدة والجذر الوقائي ضدّ الشبهات. وما جاءت الشبهات وتطاول أهلها إلا من خلو الذهن عن العلم الصحيح المستند على الكتاب والسنة.

٢- الحصانة الفكرية لا يكفيها مجرد تحصيل العلم النافع ما لم يشمله العمل والممارسة. وقد مارس الصحابة ﷺ ما تعلموه، حتى ألِفوا العلم، وأصبحت عندهم بديهة لا يجدون كبير جهد من ممارسة ما تعلموه؛ لشدة استمساكهم به وحرصهم عليه. وقد عاشوا التجارب كلها بعقولهم الفذّة التي ترى الحق وتميّزه عن غيره.

٣- أساس تحصيل القدْر العالي من الحصانة الفكرية التي تقي الشبهات هما الكتاب والسنة، وقد تعلم الصحابة ﷺ من مدرسة الوحي المعصوم، ولم تكن لديهم طرق أخرى للتعلّم يبنون عليها معارفهم وعلومهم الدينية. وهذا جعلهم يرون الشبهات بوضوح ويميّزونها عن غيرها ويعالجوها على وفق الأسس التي تعلموها والقواعد التي انطلقوا منها من الكتاب والسنة.

٤- تعلم العلوم النافعة والتأسيس القوي عليها والتمكّن فيها لا يحصل من يوم وليلة، ولا من مرة واحدة، وإنما بالعيش معها، والنظر فيها حفظا وفهما ومدارسة، علما وعملا وممارسة؛ لأنها بمجموعها تحقق الحصانة الفكرية فيرسخ العلم ويثبت حتى يصبح جليًّا وواضحا.

٥- الانطلاق من محكمات الدين أساس حصول الحصانة الفكرية، ومن أراد لنفسه قوة الحصانة فإنّ أول الطريق هو اتّباع المحكمات ورد المتشابهات إليها.

---

[١] أخرجه البخاري ٤٥٤٧، ومسلم ٢٦٦٥.

[٢] آل عمران: ٧

٦- حِرْص النبي ﷺ على تعزيز قيمة اجتماع الكلمة واتّحاد الرأي بين الصحابة ﷺ، يمثّل أحد الأسباب المهمة في بناء الحصانة الفكرية؛ فالمرجعية الواحدة تسهم في حفظ المجتمع من التفكّك، ووقاية أفراده من النزاعات والخلافات التي تكون سببًا رئيسًا في نشوء الشبهات. أما الانفراد بالرأي فيُغذّي الشبهة عند صاحبها، حتى يُعميه عن اتباع الدليل والحرص عليه.

## المراجع:


- القرآن الكريم
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بَطّة، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض
- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط١، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٢ه
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد
- الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد أفندي، إسماعيل الطرابلسي، أحمد رفعت، محمد عزت، أبو نعمة الله محمد شكري، الناشر: دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤ هـ
- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، ط١، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن – الهند، ١٣٧١ه
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، ط بدون، دار التربية والتراث، مكة المكرمة
- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، المحقق: أبو الأشبال الزهيري، ط١، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ١٤١٤ هـ
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: مطبعة السعادة – مصر، عام النشر: ١٣٩٤ ه
- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ ه
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢١ هـ
- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٣٩٢

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، ط٢، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، خرج أحاديثه واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، عام النشر: ١٤٢٧ هـ.
- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥ ه
- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، الناشر: دار الوطن – الرياض، ١٤٢٠ هـ
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة، ١٤٢٣ ه
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية
- صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، ط١، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، ١٤٣٣ه
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، ط٥، الناشر: دار ابن كثير، دار اليمامة– دمشق، ١٤١٤هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي
- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧ه
- صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣ ه
- الطبقات الكبرى. ابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط١. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن السلفي، ط١، الناشر: دار طيبة – الرياض، ١٤٠٥ه
- العقد الفريد، أبو عمر، ابن عبد ربه الأندلسي، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٤ هـ
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط١، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ
- فضل علم السلف على علم الخلف. ابن رجب الحنبلي. دراسة وتحقيق: أبو مصعب الحلواني. ط١. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، ط١، الناشر: (دار التاج – لبنان)، (مكتبة الرشد – الرياض)، (مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة)، ١٤٠٩ه
- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، صححه: أبو عبد الله السورقي، قابله: إبراهيم حمدي المدني، ط١، الناشر: جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، ١٣٥٧ هـ
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، ط٢، الناشر:

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت،١٣٩٠ه
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،١٤١١ه
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ودار الصميعي، ط١، ١٤١٥ه
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ،
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط –عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة،١٤٢١ هـ
- مسند الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ه
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت